المجلة العربية، جامعة داكا
المجلد ٢٤، العدد ٢٧، يونيو ٢٠٢٣ م، ص. ٧– ٢٦
DOI: https://doi.org/10.62295/mazallah.v24i27.46

Received: 23-01-2024
Accepted: 12-03-2024
Published: June 2024

النقد الاجتماعي في أعمال عبد الرحمن شكري الشعرية والنثرية
(دراسة نصية)

أ.د سهيل محمد خصاونة *
أ.د محمد علي ابنيان **
د افتخار سليم محي الدين ***

Social Criticism in Abdel Rahman Shukri's Poetic and Prose Works (A Textual Study)

Abstract

Abdur Rahman Shukri is a famous Arabic poet who achieved vast knowledge and became famous worldwide. Ironically, the people of his generation disdained him and denied his virtue and superiority. Accordingly, it was not easy to find studies or scientific research written about him. It seems to be an injustice to his merits. He felt this injustice as his poetry and prose covered a tinge of pain and suffocated sadness. According to his autobiographical information, he was the first among the Arabic poets to obtain a university degree from a Western country. He acquired a certificate in history at an early age and was appointed at the Egyptian Ministry of Education schools as a history and English teacher. Then he was promoted to principal of a secondary school and eventually to an inspector. After that, his career stopped as he could neither flatter anybody nor compromise about any matter. This research monitors the echoes of his ideas, trends, interests, and efforts, and collects the fair testimonies that were said about him by sincere people who wrote about him to form a true, clear, vivid, and

* أستاذ، قسم العلوم الأساسية الإنسانية والعلمية، جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، إربد–الأردن.
smkhasawneh@just.edu.jo
** أستاذ، قسم العلوم الأساسية الإنسانية والعلمية، جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، إربد–الأردن.
m_ibnian@yahoo.com
*** استاذ مشارك، قسم العلوم الأساسية الإنسانية والعلمية، جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، إربد–الأردن.
esmohiedain@just.edu.jo

frank picture of his career. This research also contributes to clarifying the aspects of his scientific, literary, intellectual, and moral personality that are unknown or semi-unknown to many people. This research is distinctive in that it considers textual records carefully and examines the summary of his thoughts and interests as portrayed in his literary productions including poetry and prose.

التقديم

الشاعر عبد الرحمن شكري، شاعر لم ينل حظه من الشهرة، والمعرفة –رغم تميزه وكفاءته العلمية والعملية– فقد تنكر له أبناء جيله، وجحدوا فضله وتفوقه، وقد أحس هو بهذا الضيم، وغشي شعره ونثره مسحة ألم وحزن مخنوق، فزفر ذات حين زفرة ضيق في قصيدة له بعنوان "الشاعر البابلي المجهول"، يقول (Al-Shukrī 2000, 646):

يا غريب الدار عن وطني ** ناظرا في غابر الزمن

وأتبعها بأخرى ممزوجة بطعم ظلم الدهر لوطنه، يقول (Al-Shukrī 2000, 646):

واستباح الناس من أدبي ** ما استباح الدهر من وطني

وختم قصيدته بقوله (Al-Shukrī 2000, 647):

يا غريب الـــدار عـــــن وطني ** باحثا فـــي دارس المـــــدن

هل سمعت اسمي وما نقل الــر ** كب عن شعري وعن فطني

لهذا، لم يكن من السهل العثور على دراسات أو بحوث علمية مكتوبة حوله، كما هو حظ كثير غيره ممن هم أدنى منه منزلة من الشعراء الآخرين، علما أنه من أوائل الحاصلين على شهادة جامعية من بلاد الغرب و في زمن مبكر من القرن العشرين، فقد أرسل في بعثة دراسية بعد تخرجه بتفوق في مدرسة المعلمين العليا في القاهرة إلى جامعة "شفيلد" في إنجلترا وعاد إلى بلده مصر عام ١٩١٢، يحمل شهادة التاريخ في هذا الزمن المبكر، ليعين في مدارس وزارة المعارف المصرية معلما للتاريخ واللغة الإنجليزية، وليرتقي إلى مدير مدرسة ثانوية، ثم إلى مفتش، ويقف عند هذا الحد؛ لأنه لم يكن يجامل ولا يهادن ولا يساوم ولا يتزلف لأحد، وهذا مصير كل من كان بهذه الأوصاف قديما وحديثا.

وهذا البحث يرصد أصداء أفكاره وتوجهاته واهتماماته وجهوده، ويلملم شتات شهادات منصفة قيلت بحقه من مخلصين كتبوا عنه في محاولة لتشكيل صورة حقيقية واضحة حية صريحة تنصفه، وتساهم في بيان معالم شخصيته العلمية والأدبية والفكرية والأخلاقية المغمورة أو شبه المغمورة، كما

أن هذا البحث عن شكري يتميز بأن معظم ما جاء فيه كان مدونات نصية متأنية فاحصة لخلاصة فكره واهتماماته الواردة في إنتاجه الأدبي بشعره ونثره، لا مجال فيها لتقويله ما لم يقل، أو تحميله ما لا يحتمل، ولذلك لن تطول قائمة المصادر والمراجع في نهاية هذا البحث، بل ستكثر الاستشهادات بما قاله وفعله وآمن به.

حياة الشاعر

ولد عبد الرحمن شكري في الثاني عشر من الشهر العاشر من العام (١٨٨٦م)، وتوفي في ١٩٥٨/١٢/١٥م، فعاش اثنتين وسبعين سنة، وعاش ومات ولم يتزوج، وظل أعزبا ولم يمارس الرذائل، واكتفى بأبناء أخيه الذين كان يسكن معهم في مسقط رأسه بور سعيد بعد تقاعده من العمل (Al-Shukrī 2000, 3, 20).

وعن طفولته يقول شكري في كتابه (*الاعترافات*) وتحت عنوان: (أطوار العقيدة) الذي يفتح فيه للقارئْ مجال تصديق ما جاء به، أو اعتباره ضربا من الخيال، دخل مرحلة قراءة الكتب والمطالعة والثقافة، فكانت دواء لنفسه التي شعرت بالراحة والهدوء والجمال، فتعلم أن لهذا الوجود روحا كبيرة توحي إلى الأفراد بما تريد (Al-Shukrī 1981, 400-445) .

وعبد الرحمن شكري مغربي الأصل، قدم أجداده إلى وادي النيل، واستوطنوا منطقة بني سويف، المتاخمة للصحراء، واندمجوا مع الفلاحين فيها.

أما والد الشاعر، فهو محمد شكري عياد الذي انضم إلى الثورة العرابية، وقبض عليه وسجن؛ لاشتراكه في الثورة أولا، وصداقته لعبد الله النديم خطيب الثورة العرابية ثانيا، وطال سجنه الذي انعكس معاناة وضعفا على أسرته عموما وأولاده خصوصا.

ولكن جد الشاعر الذي كان على معرفة بعلية القوم –لأنه كان يدرسهم اللغة الفرنسية التي يتقنها– تمكن من التوسط لابنه، وأخرجه من السجن واستطاع أن يعينه معاونا للإدارة في بور سعيد، وفيها قضى عبد الرحمن شكري أيام صباه حتى سنة ألف وتسعمئة، حيث حصل على الشهادة الإعدادية، ويصف أيامه في بور سعيد في كتابه النثري (*الاعترافات*) أجمل وصف (Al-Shukrī 2000, 3-5).

دراسته:

بعد حصوله على الإعدادية، انتقل من بور سعيد إلى الإسكندرية، والتحق بمدرسة رأس التين الثانوية المشرفة على ميناء الإسكندرية، وحصل فيها على الشهادة الثانوية عام ألف وتسعمئة وأربعة عشر، وعاد إليها معلما بعد ثمان سنين، ثم توجه بعد ذلك إلى القاهرة، والتحق بمدرسة الحقوق، لكنه فصل منها بسبب قصيدة وطنية كتبها بمصطفى كامل زعيم الحركة الوطنية التي كان

الشاعر أحد أعضائها، فانتقل إلى مدرسة المعلمين العليا بالقاهرة بتوجيه من مصطفى كامل، وتخرج فيها بتفوق عام ألف وتسعمئة وتسعة، فاستحق بعثة دراسية إلى جامعة (شفيلد) في بريطانيا، وعاد بعد ثلاث سنوات، وقد تخرج فعين في مدرسة رأس التين معلما للغة الإنجليزية، والتاريخ، عام ألف وتسعمئة وثلاثة عشر، واستمر في حقل التعليم قرابة ربع قرن من الزمان (Al-Shukrī 2000, 5-8).

أوصافه وأخلاقه

وصف الشاعر نفسه في كتابه الاعترافات –ونحن أميل إلى تصديق ما جاء به من اعترافات– في مقالة نثرية له بعنوان: (الخوف والعيب)، يعترف بأنه يعاني من حساسية مفرطة في مراعاة مشاعر الناس، والحرص على عدم احراجهم، وهذا النوع من الإحساس، يعطل الإنسان، ويحدد كفاءاته، وهذا كما يصرح، جعله يعتزل الناس ويلزم الوحدة (Al-Shukrī 1981, 458). ويعترف بأن الحياء من أكبر أسباب الفشل في الحياة، ومع ذلك أصبح يتجاوز الحياء، بالعزلة (Al-Shukrī 1981, 465). ويصف علي أدهم –وهو أحد طلاب شكري– يقول: كان واسع الاطلاع والمعرفة، نافذ النظرة، قوي الاستيعاب شيق الحديث، سريع القراءة، حسن الهضم لما يقرا، تعليقاته رائعة، وتعقيباته نافعة، قوي الشخصية، صارما، وإذا اطمأن لجليسه، نثر ذخائر معرفته، ونفائس علمه (Al-Shukrī 2000, 12-13). ويصفه عبد العزيز مخيون –وهو طالب أخر من طلابه في المدرسة العباسية في الإسكندرية– قائلا: كان عطوفا، سمحا، متواضعا، ذا خلق كريم، واسع الاطلاع على العلوم والاداب المختلفة (Al-Shukrī 2000, 1).

ويضيف بأن شكري يحب الناس، ويحب الحب، وينفر من الشر، ويكره الرذيلة، والانحراف، والخطيئة، ويخطئ من يظن شكري يكره الحياة ويرفضها، ويعيش في عزلة وانزواء (Al-Shukrī 2000, 24-25).

عبد الرحمن شكري والرومانسية

مما لا شك فيه، أن الرومانسية لم تدخل المشرق العربي بين عشية وضحاها، وان هناك مجموعة من العوامل كانت تسبقها وتهيئ لها، فمثلا كان لحركة الاستشراق، وهجرة المشارقة العرب إلى الغرب –خاصة السوريين، واللبنانيين– وانتشار الآداب الغربية في المشرق العربي، والاطلاع عليها مترجمة إلى العربية، وغير مترجمة أكبر الأثر في نشوء تيارات أدبية جديدة، وظهور اتجاهات فكرية مختلفة، غيرت من صورة الأدب العربي، وأحدثت فيه هزات عنيفة عصفت بتقاليده القديمة المتأصلة، وأيقظته من سباته العميق، وربطته بآداب الغرب، ومدارسه، وابداعاته الفكرية (Al-Ayyūbī 1984, 278).

ويضيف الأيوبي: كانت الرومنطيقية (الرومانسية) أقرب الحركات إلى قلوب العرب، لأن بعض مبادئها مثل الذاتية، والفردية تتفق وأهم سمات الأدب العربي، كذلك كان للأدباء المهجريين دور في انتشار الرومانسية وذيوعها، وكان المثال الناصع في هذا جبران خليل جبران (Al-Ayyūbī 1984, 279-280).

ويعد عبد الرحمن شكري رائد الرومانسية العربية والممثل الحقيقي للرومانسية، وقد أصدر ديوانه الأول (ضوء الفجر)، فجاء رائعا في قصائده حيث تضمنت عواطف صادقة، وتأملات عميقة، وانطباعات نفسية صوفية، وأناشيد صادقة في الحب، والحمال مما مكنه من دخول عالم الرومانسية من أوسع أبوابه عن جدارة واستحقاق كما يقول ياسين الأيوبي (Al-Ayyūbī 1984, 278).

يقول فاروق شوشة في تقديمه لديوان شكري: عبد الرحمن شكري وباعتراف زميليه في جماعة الديوان (لعقاد والمازني) أكثر فهما لمعنى الشعر الرومانسي، وقد صدّر شكري ديوانه الأول (ضوء أفجر) الصادر عام ألف وتسعمئة وتسعة ببيته الشعري المعبر، يقول (Al-Shukrī 2000): أ–ج

ألا يا طائر الفردو ** س إن الشعر وجدان

وفي مكان آخر، يصف نقولا يوسف ديوان شعر شكري بأنه يتضمن قصائد مطولة، عاصفة بالفكر، والإرادة، وبعضها ترانيم وأناشيد وأغان غزلية نظمت للموسيقى والغناء، وبعضها قصائد قصصية فيها العبرة والموعظة، وبعضها شعر مرسل مليء بالحكم والتجارب، وبعضها قصائد رباعيات فيها الأمثال الرائعة (Al-Shukrī 2000, 8, 10, 27).

وشهدت سهير القلماوي بأن شعر شكري هو شعر الخيال والوجدان الذي مثل الحركة الرومانسية التي من أجلها قامت مدرسة الديوان التي كان هو أحد أفرادها، فهو الذي أنزل العقل عن عرشه، وفتح باب الخيال الواسع المتحرر، وركز على الوحدة العضوية في القصيدة، أو وحدة الموقف الانفعالي، ومع هذا كله لم يستطع شكري الحديث عن نظرية متكاملة، وأما محمد مندور فوصف شكري بأنه رائد أهلّ على الشعر العربي، فوجده يرسف في أغلال الشكل، والموضوع التقليديين، فكان في طليعة المبادرين إلى تحرير الشعر من الأغراض التقليدية التي كانت تستهلك طاقة الشاعر الإبداعية.

وتواصل وصفها لشعر شكري قائلة: لقد انطبع شعره بالجرأة الفكرية، والخروج عن القوالب الشكلية، فتحرر من القافية واستعمل الشكل المرسل الموجود في العالم، فكان المهم وحدة السياق، لم يسبقه في ذلك إلا خليل مطران، فكان بحق رائدا من رواد الشعر العربي الحديث (Al-Shukrī 1981, 3).

ويصف شكري منهجه في تأليف الشعر أو اختيار الأشعار بأنه يقوم على فكرة ثابتة راسخة في ذهنه وهي أن الشعر صادر عن عاطفة صادقة وتحليل للنصوص قائم على قدرة على الغور في أعماق النفس البشرية وسبر أغوارها ولذلك يقف شكري عند قول ابن خفاجة:

وشأن مثلي أن برى خاليا ** بنفسه يبحث عن نفسه

يعلق شكري على جمال هذا البيت و – الدهشة تصيبه عند قراءته – فيقول: كلما فرأت هذا البيت أعجب كيف لم ينظم صاحبه شعرا كثيرا في ميول الناس، وأحاسيسها، وتحليلها، وتعليلها، فالشعر هو لغة النفس، وموسيقاها، ومقر كنوزها، وحكمتها وأسرارها (Al-Shukrī 1981, 934-935).

وفي مقالته النثرية بعنوان (المثل الأعلى)، يشترط عبد الرحمن شكري على الإنسان المتعلم وحسب مباديْ الرومانسية التي ينتمي لها أن يبقى دائم البحث عن المعرفة، ليصل إلى النموذج الأعلى، أو الغاية القصوى علما أن الإنسان الذي يفهم معنى العلم، والحياة لا بصل إلى النهاية فكلما، زاد الانسان علما أدرك حجم جهله، فبقي في سعي دائم (Al-Shukrī 1981, 724).

ومن مبادئ الرومانسية التي يؤمن بها تعلم شكري صفات حميدة مثل: الصدق، والصراحة والحزم، والجدية، والبعد عن الكذب والتدليس والغش وكره الكذابين والمدلسين الغشاشين. وهوممثل مخلص لمذهبه الأدبي هذا، فهو رومانسي صادق يكره الكذب والتدليس وجاد حازم يحب الوضوح والصراحة، يقول (Al-Shukrī 2000, 608-609):

إن العظيم إلى الصراحة ينتمي ** والغر للتدليس والغفلات

لا تصلح التدبير ألا أنفس ** الحق يغلبها على النزعات

العقل أغلب والحزامة والنهى ** بموفق في العدل والرحمات

وفي قصيدته (كاذب لئيم) يهجو الشاعر هذا الكذاب اللئيم قائلا (Al-Shukrī 2000, 232):

حياتك كلها كذب ** وعمرك كله ريب

لقد برزت في اللؤم ** إذا ما برز النجب

وودك ملؤه حنق ** وجدك ملؤه لعب

ويواصل (Al-Shukrī 2000, 232):

وكل رذيلة فلها ** إليك من الخنا نسب

وفيك الشر معهود ** فلا خير ولا أدب

وفي قصيدته (الندامة)، نلمح ضميرا حيا داخل الشاعر، ونفسا لوامة تعذبه، وتلح عليه، يقول:

ندمنا وقد تمحو الندامة ما مضى ** ولكنها قد توئيس المرء في الباقي

لكنه يشعر أن هذه الصفة خطيرة جدا إن زادت عن حدها، إذ تنقلب إلى ضدها، يقول (Al-Shukrī 2000, 178):

فطورا ترد المرء عن عزم نهجه ** وتدفعه طورا إليه بإعناق

والشاعر رومانسي ذو عاطفة ملتهبة، فهو رقيق القلب، مفرط الإحساس، محترق الوجدان، يقف عند عصفور ميت، فيُهيّج عواطفه ويرثيه، يقول (Al-Shukrī 2000, 193):

ليت أن الربيـــــع إذا مت ماتا ** حلت ميتا بين الربيــع وبيني

فرزئناك شاديـــــا علـــم الشا ** عــر أن يخلب القلوب بلحــن

كفنوه بالغصن من عالم ورق الور ** د ولا تضرحوا الضريح لدفن

والأغرب من هذا، أن يرى الشاعر على شاطئ البحر (دفة سفينة) ملقاة على الساحل، فيراها غريبة، وحيدة قد تركتها أمها السفينة يتيمة ضائعة فيرثيها، يقول (Al-Shukrī 2000, 194):

لقد جار الزمـــــان عليك حتى ** حكيت عزيمة الرجل الضعيف

تصرفك الأكف وكـــل عـــزم ** يؤثر فيـــه تصريف الصروف

وللأهـــواء فـي الأراء فعــل ** كفعل فيـــك لليم المخوف

ومــا هجروك من عبث ولا ** كن غايات الوسائل في الحتوف

كـذاك الناس مثـــلك والليالي ** وسائل للقضــاء وللصــروف

كـذاك العيش عيش الناس طرا ** وسيلتهم إلــى الأمل الصدوف

ومن صفات شكري التي لاءمت مبدأ الرومانسية واتصف بها وكان ممثلا مخلصا لها بحق، التشاؤم والقلق والضيق والتمزق النفسي، فقد كانت تسكنه روح متذبذبة حائرة بين الهدوء والاستقرار النفسي والتشاؤم، والقلق والتوجس، والأفكار المستغربة والصور الخيالية المستهجنة المجنونة، وفي قصيدته (ثورة النفس)، وهي من الشعر المرسل، يقول (Al-Shukrī 2000, 200-201):

وللنفس في بعض الأحايين ثورة ** يكاد لهـــا جسم الفتى يتمـــــزق

فيا نفس كم تبغين ما ليس حادثا ** وحتـام آمالـــي إليك تحـــرّق

هياج كما هاجت قطاة تعلقــت ** بأحبولة الصيـــاد إذ ليس مهرب

أما في سكون الليل يا نفس واعظ ** أما في هدوء الليل ملهى وملــعب

فهل تحسبين نائما كل ساكـن ** وهـل تحسبين ميتا كل هاجـــع

ويواصل ساخرا :

سأبـــذل جهـــدي في تعلـــم رقصة ** لأرقصها إن الحـــوادث تُطـــرب

فيا نفس قومي فارقصي في جوانحي ** كما رقص المجنون يهذي ويلـعب

ويقول:

فـلا تعذلوني إن لليأس رقصـة ** تعلمها المحزون من نشوة ا لأسى

وللنفس آهـات من اليأس والجوى ** تحقّـر آهات الأناشيد والهـوى

نعم نحن أبناء الزمان وصرفـه ** وحـالاته حتى يتاح لنا الـردى

فإن تكن الحالات تأتي بترحة ** فنحن بنوها للتجلـد والأسى

ويقول متصبرا مستسلما:

رضعنا من اليأس الصريح لبانة ** وكان وكنا في بطون الحوامل

فما آمل فينا سوى صنو يائس ** وما يائس فينا سوى صنو آمل

وفي كتابه (الاعترافات) الذي لا أشك أنه قريب من الحقيقة أكثر بكثير من قربه من الخيال، يصف مشاعره في مقالة نثرية بعنوان: (الإحساس والحياة) عندما شاهد ذات مرة حريقا هائلا، فهاجت عاطفته من أعماقها، وليس من سطحها الخارجي وجعله يشعر بالجلال لهذا المنظر الهائل خصوصا وهي تأكل المنازل وتهدمها، فتصور لحظتها أنه في حلم ، وصارت النار تلفح خياله وذهنه.

وفي حادثة أخرى شاهد هياج البحر، فأحس بضعف الإنسان، وقوة ضعفه في نفس اللحظة أمام قوى الطـبيعة، وأن خيال الإنسـان، وقلـبه هما اللـذان يمكنانه من التعامل مع هـذه الطـبيعة المتمردة(Al-Shukrī 1981, 451-454).

ويصحو الشاعر أخيرا من هذا الجو اليائس المدلهم ، ليجعل اليأس مبعث الثورة والانطلاق، وهذا هو شأن الرومانسيين حيث يوظفون اليأس في النهاية توظيفا إيجابيا فاعلا، وهذا أمر في غاية الأهمية بسجل لهم يقول (Al-Shukrī 2000, 201):

وفي اليأس يبعث المرء بعثة ** على الغاية القصوى من السعي والجد

وفي قصيدة (جنون الأماني): يتمنى الشاعر أماني مجنونة حقا، مثل أن يكون ربا أو إلها، ليحقق لمحبوبته أمانيها، فتبقى خالدة لا تعرف الموت، يقول:

ولو كنت (ربا) نافذ الأمر قادرا ** لأعطيت نفسي سؤلها وعباديا

ويستدرك في البيت التالي، بأنه لا يريد من كلامه هذا الكفر، ولكنها أماني النفس التي تتمناها، يقول:

حبيبي لا والله ما الكفر شائقي ** ولكن قول النفس يا ليت ذا ليا

وقوله (Al-Shukrī 2000, 328):

ولو أني رب لما نالك الردى ** ولا قلت يوما أين مني جماليا

وفي قصيدة (ليتني كنت إلها)، يقول (Al-Shukrī 2000, 155):

ليتني كنت في السماء إلها ** نافذ الأمر في شؤون الوجود

فأضـــم الوجود بين جنا ح ** يّ وأسطو على الشقاء بجودي

ثم أحنو على الأنام كما بح ** نـــو شفيق على الرضيع الوليد

وفي مقالة نثرية حملت عنوان (جنون الأماني)، وهو نفس عنوان القصيدة، فكأنما جنون الأماني يشغل بال الشاعر شعرا ونثرا، ويملك عليه لبه وأحاسيسه، فهو هنا يتمنى لحظة يقف فيها بين الحياة والموت، والبقاء والفناء، وهو بكامل وعيه وقوته، يقول: من لي بساعة ألهو فيها بالفناء، والموت، وأهزأ فيها بالسماء، والأرض، وما بينهما (Al-Shukrī 1981, 511).

وفي مقالة نثرية – من كتابه (الاعترافات) بعنوان: (الأبد في دقيقة) وهو نفس عنوان القصيدة السابقة يتمنى أمأني غير معقولة، فمثلا يتمنى، لو يعيش دقيقة واحدة يشعر خلالها بكل المشاعر والأحاسيس، ويفكر بكل شيء يخطر على باله ويلتذ بكل اللذائذ ويتألم بكل الآلام، بحيث يجني ثمرة الحياة خلال دقيقة تكون أعظم من الأبد وأجلّ من الخلود، وإنه لشيء معجب أن تكون حياة الإنسان عاصفة تهيج فيها ساعة من اللذة، والجنون يرتفع فيها الإنسان إلى أعلى النجوم والأفلاك (Al-Shukrī 1981, 516).

وفي قصيدة (كلمات النفس) مختصر بليغ لحالته النفسية التي تعتريه أحيانا، يقول (Al-Shukrī 1981, 215):

وطورا أكون كبعض الهباء ** به العاصف الثائر

وطورا أكون كذات القلوع ** همّ بها الهائج المائر

وطورا أكون كأرجوحة ** يرجرجها طفلها الجامح

وفي قصيدة (طبع الإنسان)، يتمنى الشاعر أمنية غريبة عجيبة تدل على تشاؤم مسرف بإفراط واضح، وتفكير جامح حيث يتمنى لو يصدم الكرة الأرضية بكاملها كوكب أخر أكبر منها، فيدمرها، ومن عليها!، يقول (Al-Shukrī 2000, 263):

هل لنا من كوكب ذي مرة ** يصدع الأرض إذا ما يصطدم
فيريح الناس من آلامهـــم ** ويزيل الشر منا والنهـــم
حدث الدهر حديثا صـــادقا ** إنما الناس قطيـــع من غنم
وصفات الذئب طبع فيهـــم ** وصفات القرد والكلب النهـــم

يقول أحمد قبش: "ولعل مصر لم تعرف في عصورها المختلفة شاعرا متشائما ضاق بكل ما حوله — حتى بنفسه مثل شكري، فقد اجتمع عليه الملل والحزن والهموم، وعيب خلقي في شفته اليسرى"(Qabbish 1971, 226).

وفي قصيدته (صوت الموتى)، نرى الشاعر يعيش عالما خياليا صاخبا، وفوضى تصور مرتبك، يقول (Al-Shukrī 2000, 182) :

ألا إن للأموات صـــوتا كأنـه ** خرير المياه الجاريات علـــى الصلـد
ويحكي حفيف الغصن في لين وفعـه ** وطـورا كأصداء الطبول علـــى بعـد
ويعـــول أحيانا كإعـــوال ثاكـل ** رمتها صروف الدهر في الولد الفـــرد
يئن أنيـــن الريـح عند خفوتـها ** ويعوي عـواء الذئب في المهمة القفـر
ويصـرخ أحيانا فيحكي صراخـه ** صراخ العباب الغمـر في لجج البحر
يئن أنين الليـــل إن هـدأ الـورى ** وطـورا له صوت كحشرجة الصـدر

ويورد زكي كتانه –محقق اعمال الشاعر النثرية– رواية تروى عن عبد الرحمن شكري مستبعدا إياها، وهي أنه أصيب في لحظة من اللحظات بحالة نفسية معينة، فأحرق كل ما كتبه من نثر بعد عام ألف وتسعمئة وتسعة عشر، وهذا الأمر وإن استبعده زكي كتانة، لكنه مستقرب جدا إذا تابع الدارس بعض قصائد الشاعر، وبعض كتاباته النثرية القلقة الحائرة، فقد قيل إن أبا حيان التوحيدي قبله قد قيل بحقه مثل هذا القول، وأنا استقرب الروايتين بحقهما، ولا استبعدهما، نظرا لعبقرية الإثنين، وأن مثل هذه الحالة يمكن أن تعتري الرومانسيين العباقرة، والمبدعين الأفذاذ (Al-Shukrī 1981, 8; Al-Tawhidi 2002).

مصادر ثقافته

الثقافة العربية

نشأ عبد الرحمن شكري في أسرة مثقفة تهتم بالعلم والمعرفة، وليس أدل على ذلك من أن جده لأبيه كان متعلما، يتقن اللغة الفرنسية، ويعلمها كبار الشخصيات المصرية، ولذلك كان في بيت والده في هذا الوقت المبكر، مكتبة منزلية، تضم مجموعة من الكتب القيمة، مثل كتاب الوسيلة الأدبية للشيخ

المرصفي – وهو مجموعة من النصوص الشعرية المختارة – وديوان المتنبي، وديوان أبي تمام وغيرهم (Al-Shukrī 2000, 5)

ولا ننسى دور كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني في تعميق ثقافة الشاعر العربية، فقد أتيح له الاطلاع عليه في مدرسة المعلمين العليا في القاهرة التي التحق فيها بعد أن فصل من مدرسة الحقوق، بسبب قصيدة وطنية كتبها بالزعيم الوطني مصطفى كامل (Al-Shukrī 2000, 5-6).

يقول عبد الرحمن شكري: كانت هذه الثقافة العربية الصميمة ضرورية لي، وكان تعرّفي على الشعر العربي العاطفي العذري الذي هو قبل الشعر العباسي وشعرائه الذين مر ذكرهم، مهم لي في كيفية التعامل مع الشعر العاطفي الغربي الموجود في كتاب الذخيرة الذهبية الإنجليزي (Al-Shukrī 1981, 755).

الثقافة الغربية

من يتعرف على حياة عبد الرحمن شكري الأسرية، يدرك أنه عاش في بيئة تهتم بالتربية والثقافة، فجده لوالده – كما عرفنا في هذا البحث– يتقن الفرنسية، بل وكان يعلمها كبار الشخصيات المصرية فكانت له مكانة مكنته من إخراج ولده والد الشاعر عبد الرحمن شكري من السجن عندما كان محبوسا بسبب انتماءاته السياسية، وهذ مؤشر على وطنية هذه الأسرة التي ينتمي لها الشاعر ووعيها في ذلك الزمن الذي كان فيه الجهل طاغيا.

عندما توجه عبد الرحمن شكري إلى إنجلترا –في بعثة دراسية لإكمال دراسته الجامعية– اصطحب معه منذ اللحظة الأولى المراجع العربية التي كانت في مكتبة والده الخاصة، قال: لقد أخذت معي كتبي، وكنت أدمن قراءتها والانكباب عليها (Al-Shukrī 1981, 756).

وصل الشاعر إلى جامعة (شفيلد) –وهي الجامعة التي ابتعث اليها لتفوقه العلمي– فكانت الحياة الجامعية أول رافد من روافد ثقافته الغربية، حيث تمثل هذا في المواد الدراسية التي يتلقاها على مقاعد الدراسة، مثل التاريخ والجغرافيا والاقتصاد والسياسة ودراسة أدب اللغة الإنجليزية، وآداب اللغات الأوروبية المترجمة إلى اللغة الإنجليزية، مثل الفرنسية، والألمانية، ومن يطلع على مقالات الشاعر النثرية في مجموعته الكاملة، يلاحظ تعدد أسماء أعلام من الأدباء الغربيين الذين قرأهم الشاعر، وترجم بعض أثارهم (Al-Shukrī 1981, 670-671).

بالإضافة إلى رافد الحياة الجديدة في إنجلترا بمشاهدها المتنوعة: الاجتماعية والطبيعية والفنية، علما أن الشاعر قارئ نهم، شغوف بالمعرفة والاطلاع، مدرك أن مداخل المعرفة عند الإنسان متعددة واسعة المدى تشمل: السمع والبصر، فهو يؤمن بالانفتاح الثقافي، وأن الانكماش يفسد الابداع، فالشاعر

الذي لا يطلع، ولا يتثقف كالماء الراكد الذي يلحقه الفساد مع المدة (Al-Shukrī 2000, 48)، يقول (Al-Shukrī 2000, 171):

إن غذاء الذهن فيما احتـــوى ** من سمع أذن المرء أو رأي راء

والحس باب النفس كـــــم والج ** منه إليها بالحجى والغبـــــــاء

ومما لا شك فيه أن للرومانسية التي ينتمي إليها دورا بارزا في تشكيل بنائه الثقافي، ويوسع الروح ويصبح خيال الشاعر يجمع بين الصحة والاتساع في المعاني وصدق النظرة (Al-Shukrī 1981, 732) ، لكن هذا التأثير –كما يستدرك نقولا يوسف– ممتزج بذكريات الحنين إلى سماء وطنه، ونجومه وللشاعر قصيدتان هما: (حنين غريب) و (شاعر في الغربة)، هما أجمل مثال في هذا المقام (Al-Shukrī 2000, 8-9).

وفي شعر عبد الرحمن شكري قصيدة بعنوان (أبناء الشمال)، (وهم الآريون) الذين هم الغربيون الذين عايشهم وخالطهم وتعلم في جامعاتهم، يبدي فيها إعجابه بهم، ويقارن بينهم وبين العرب، مع الِاشارة في نفس الوقت الى خبثهم ودورهم في قمع الشعوب واستعبادهم ونهب ثرواتهم، وإيصالهم إلى حالة مزرية، يقول (Al-Shukrī 2000, 341):

إن أبنـــــاء الشمـــال ** عمروا الأرض وصانوها

ورثـــوا الملك جميعا ** كـــل من يسعى ينال

عمـــروا الأرض ونمنا ** داؤنا الـــداء العضـال

إن أبنـــاء الشمـــــال ** عمـــروا الأرض وصالوا

ورثـــوا العزم جميعـــا ** ما عـــرا القوم ملال

هـــم لداعـــــي السعي ** والآمـال عمّال عجـــال

تعـــــرف البيداء مسعـا ** هـــــــم وتنبيك الجبـــال

وببطـــن الأرض مسعـــى ** ولـــــدى الجـــو منـال

ويواصل (Al-Shukrī 2000, 342):

يركـــض الدهـــــر لديهم ** مثلمـــا شاء الرجـــال

عيشهم كالنهـــر يجـــري ** فهو حـــال ثم حـــــال

عرفـــوا العيش ففـــازوا ** إنمـــا العـــيش قتـــال

لكنه قي نهاية القصيدة –وهو الشاعر الناقد المنصف الموضوعي– يرى أن تقدمهم العلمي المذهل، لم تزينه أخلاق ولا فضيلة، فهم ظلمة نهابون جائرون في تعاملهم مع الشعوب عموما، ومع أهل المشرق

خصوصا أو (أهل الجنوب) حتى بروهم بريا على حد تعبيره، دون أن يخلي طرف أهل المشرق من المسؤولية، فهم أهل جمود، وليس لأهل الجمود اعتبار عنده كما يقول ناقما على الظالمين، والمظلومين في أن واحد (Al-Shukrī 2000, 343):

قـــد بـــروا أهل الجمـــود ** مثلمـــا تبـــرى النعـــال

ويـــل أبنـــاء الجنـــوب ** اعتـــز بالمـــلك الشمـــال

الحياة العملية

أمضى الشاعر حياته العملية في تعليم الأجيال وتربيتهم، وكان كفؤا من طراز فريد، علما وخلقا وسلوكا، فمن عام ألف وتسعمئة واثني عشر إلى عام ألف وتسعمئة وثمانية وثلاثين –أي قرابة ربع قرن من الزمان– فكان معلما للتاريخ واللغة الإنجليزية في مدارس ثانوية مثل مدرستي رأس التين والعباسية في الإسكندرية، ثم ناظرا لمدارس ثانوية مثل الزقازيق والفيوم وحلوان، واستمر معلما ومديرا من عام ألف وتسعمئة واثني عشر إلى عام ألف وتسعمئة وخمسة وثلاثين، ثم صار مفتشا من عام ألف وتسعمئة وخمسة وثلاثين إلى عام ألف وتسعمئة وثمانية وثلاثين حيث أحيل إلى المعاش ولم يعد بعدها للخدمة في أي مكان أخر (Al-Shukrī 2000, 18-20).

جهوده الثقافية

عبد الرحمن شكري شاعر متعلم مثقف في وقت مبكر من القرن العشرين، واع لما يحيط به من جهل مجتمعي، وأطماع استعمارية شرسة خبيثة، وهو عامل ذو إرادة، معطاء ذو حدين، فهو يحمل على عاتقه مشعل الشعر والنثر، يبث فيهما أفكاره النهضوية التي تسعى إلى فتح أذهان الناس المغلقة في زمنه زمن الجهل والجوع والفقر ويقدم من خلالهما آراءه الإصلاحية السديدة ورؤاه وأحلامه وأمانيه في بناء مجتمع يرقى إلى مستوى متطلبات الواقع القائم، ويحمل على عاتقه الآخر مسؤولية تربية أجيال المستقبل من أبناء المدارس في وطنه وتعليمها، مؤمنا أن مقياس الثقافة –كما يقول– معرفة حدود الحق والواجب، بحيث يعرف الخصم حقوق خصمه، فإن فقدت هذه الميزة، شمل الخراب كل المجتمع، ويتساءل ألم تغلب جيوش قليلة العدد جيوشا جرارة، وكان السبب معرفة ذلك الجيش حدود الحق والواجب، وإن كثرة المدارس والجامعات

وقد ساهم عبد الرحمن شكري بجهد مقدر في مجال الشعر والنثر، فقد أصدر مجموعة من الدواوين الصغيرة حققها نقولا يوسف، وجمعها في كتاب واحد جامع تحت عنوان موحد هو: (ديوان عبد الرحمن شكري).

أما أسماء الدواوين الصغيرة التي ضمها هذا الكتاب الجامع، وحسب الترتيب الزمني، فهي:

١- (ديوان ضوء القمر، ١٩٠٩).
٢- (ديوان لآلئ الأفكار، ١٩١٣).
٣- (ديوان أناشيد الصبا، ١٩١٥).
٤- (ديوان زهر الربيع، ١٩١٦).
٥- (ديوان الخطرات، ١٩١٦).
٦- (ديوان الأفنان، ١٩١٨).
٧- (ديوان أهار الخريف، ١٩١٩).
٨- (ديوان مجموعة القصائد التي لم تنشر ولم تجمع في ديوان خاص وقد جمع هذا الديوان عام ١٩٦٠، أي بعد وفاة الشاعر).

أما جهوده النثرية فقد ضمت العناوين الأتية:

١- (كتاب الثمرات، ١٩١٦).
٢- (كتاب إبليس، ١٩١٦).
٣- (كتاب الاعترافات، ١٩١٦).
٤- (كتاب الصحائف، ١٩١٨).
٥- (كتاب قصة الحلاق المجنون، ١٩١٩).
٦- (فن الشعر العباسي (مجموعة مقالات)، نشرت مفرقة في مجلات الرسالة والثقافة والمقتطف، ما بين عامي (١٩٣٦ — ١٩٣٩ ولم يجمع بعد).
٧- (دراسات نفسية): وهي مجموعة نشرت في المجلات التي نشرت فيها فصول فن الشعر العباسي وفي نفس الفترة الزمنية ولم تجمع بعد).
٨- (بين القديم والجديد وهي مجموع مقالات نشرت في مجلة الرسالة (١٩٣٨ -١٩٣٩). وكانت موقعة باسم، أحد أساطين الأدب الحديث).
٩- (نظرات في النفس والحياة، وهي منشورة في مجلة المقتطف بين ١٩٤٧ — ١٩٥١ بتوقيع ع، ش).

ولعبد الرحمن شكري فلسفته الخاصة في طبيعة عمل المصلحين، وهي فلسفة تدل على وعيه ونضجه في هذا الوقت المبكر من القرن العشرين، فهو أولا يؤمن بسنة التغير المجتمعي كضرورة للنهوض

والتقدم ومجاراة الأمم، وأساس حيوي من أسس الوعي والتحضر، وقد تردد صدى هذا في قصيدته (حياة الأمم او التجدد والتغير)، يقول (Al-Shukrī 2000, 138):

ويحيـا بالتغير كل حـي ** ويردي الفاسد القدر العجول

ويواصل:

حيـاة الناس إما ماء نهـر ** فيصلحـه التدفـق والمسير
وإمـا آجنـة كثيـر ** قـذاه ويأجن الماء الطهور

ويحذر في الأخير من الغافلين السادرين في غفلتهم فهم الداء الدوي، يقول:

فـقـل للغافـلين إذا أصاخـوا ** حياتكم هـي الـداء العضال

القضايا الإصلاحية في شعر عبد الرحمن شكري

قضية إعادة بناء الإنسان وتأهيله

الإنسان هو المستهدف الأول في عملية الإصلاح، وعليه تقوم، وهو اللاعب الأول، فإذا لم ينجح إعداده إعدادا سليما، طال ليل المجتمع وأذلهم ظلامه، وبقي مركبا تائها في عرض البحر تتقاذفه الأمواج أو تهوي به الريح في مكان سحيق، فإذا ما علمنا أن مجتمع الشاعر في غالبه مجتمع يخيم عليه ظلام دامس وجهل مطبق وتباغض وتحاسد ومعاداة كما يصفه في قصيدة (كلمات العواطف)، يقول (Al-Shukrī 2000, 121):

يعيث الجهل في أبناء قومـي ** كعيث الذئب في الغنم النيـام
أبـيٌّ القلب بينهـم ذليـل ** ووغـد القلب مرفوع العماد
يفرقنـا التباغض والتعـادي ** كنثـر الريح أوراق الغصـون

وفي مقطوعة أخرى وبكل مرارة وألم واصفا طبيعة الناس في مجتمعه، يقول (Al-Shukrī 2000, 257):

والناس في العيش إن كشّفت أمرهـم ** ألفيتهـم بين أضغان وأحقـاد
إن الحمير – حمير الناس –نهقتـها ** أودت برأي رجيح الرأي غضبان
جـهـل ولـؤم وأحقـاد ومفسـدة ** الشـر يجرع منه كـل إنسان

وإنه لشيء طبيعي جدا، أن يبدأ الشاعر بدعوة أبناء مجتمعه الذي يخيم عليه الجهل إلى العلم، والتعلم كخطوة أولى في تبديد ظلام جهلهم الدامس، فهو الوسيلة الأولى، والأخيرة لتبصير الناس، والأخذ بهم إلى شاطئ الأمن والأمان، فإن العلم نور في العقل والقلب وعزة في النفس والروح، وفي قصيدة بعنوان (العلم وعزة النفس)، يقول (Al-Shukrī 2000, 455):

ويعلو الفتى بالعلم عن كل ذلـة ** وكـل جهول لـو فطنت ذليل
على قدر علم المرء عزة نفسـه فأهل النهى فـي الصاغرين قليل
وأكثـر ذل العاقلـين خديعـة وأكثـر ذل الجاهلين خمـول

ويواصل قائلا (Al-Shukrī 2000, 455):

وما العلــم إلا قـوة واستطالــة ** يحكمــه أهــل النهى فيصول

فـلا تحسبن الحرب سهما ومغفـرا ** فـإن سلاح الصائلين عقــول

والشاعر يرى أن معنى الحياة قائم على المنافسة، وروح المنافسة العلم والطموح، فمن عدم هذه الروح، فلا يحسب مع الأحياء، يقول (Al-Shukrī 2000, 11):

لولا التنافس في الدنيا لما صلحت ** ولا الحضـارة والأيام والـدول

يرى عبد الرحمن شكري أن المصريين بحاجة إلى شيئين مهمين هما: معرفة معنى القدر، ونفض غبار الماضي عنهم، ولكي يتحقق لهم هذا، فعليهم أن يقلقوا، لأن القلق في حدوده الطبيعية أكبر حافز للتحصيل (Al-Shukrī 1981, 385).

وفي مقالة له بعنوان (الإحساس والحياة)، يرى أن الشاعر الحق ليس زينة قومه وعشيرته، بل هو الذي يملأ قلوب الناس بالرغائب الجديدة، ويقوي عواطفهم التي هي القوة المحركة للحياة بكلماته التي تكهرب نفوسهم وتلسع احاسيسهم وتدفعهم للعمل والتنفيذ السريع (Al-Shukrī 1981, 451). والشاعر يقدر جهود المصلحين العاملين بجد، ويثمنها حتى لو فشلوا، ويقدر بإجلال ضحاياهم التي قضت في طريق الإصلاح، وفي قصيدة له بعنوان (جهود العاملين)، يقول (Al-Shukrī 2000, 388):

ولولا ضحايا العاملين لأرهقــت ** شرور على إثر الشرور تنوب

فــلا تعجبن إن الشرور كثيرة ** ولكـن بأس العاملين عجيب

وفي قصيدة (شهداء الإنسانية)، يتصور الشاعر هؤلاء الشهداء الذين سبقوا، يقفون على باب الحياة يسألون كل ميت قادم عن الوضع بعدهم ، هل تعدلت الحال التي من أجلها ماتوا؟ أم ما يزال الوضع على حاله وأن جهودهم راحت هباء؟ فيحتار بالرد عليهم، أيكذب عليهم؟ أم يصدقهم القول؟ أم يغريهم بالصبر؟ أم يغريهم بالعودة إلى الحياة ليواصلوا الكفاح من جديد؟ (Al-Shukrī 2000, 618-620).

القضية السياسية

وهي الهم الرئيس في حياة الناس بتداخلاتها المشتجرة وتعقيداتها المختلفة المتباينة، ففي قصيدته (الأندلس العربية) التي فيها يحاكي سينية البحتري، يبين أن سبب سقوط الأندلس، هو التفرق بين زعمائها، ومساندتهم لأعدائهم على بعضهم البعض، تماما كما يجري اليوم بين الدول العربية،

والاستعمار من تعاون مشبوه، فينكل الأخ بأخيه بمعونة العدو حتى يقضي عليه، قيأتي دوره، فيؤكل كما أكل الثور الأبيض، يقول (Al-Shukrī 2000, 714):

دبت الفرقــة فيهم كاللظى ** تتلظــى فــي الهشيم اليبس
صيرت بهجـة أيام لهـم ** مأتما من بعد حسن العرس
وإذا شمـل أناس لــم يكن ** معقــلا هانــوا على المفترس
قاتلـوا قومـا بقــوم ** عن قلــوب نفــرت لم تسلس

وفي نفس السياق يحذر من الخنوع والاستسلام للعدو وقبول الذل، يقول (Al-Shukrī 2000, 611):

فلما رأى الطاغي هوادة صبرهم ** أطل عليهم جارح منه كاسر
فقــام إليه ناقـم هــز أنفه ** وقـال وقد مدت إليه النواظـر
إذا نحـن طامنا لكـل صغـيرة ** فلا بـد يوما أن تُساغ الكبائر

ويركز الشاعر على أن قبول الناس الظلم، وخنوعهم للظالم، هو الداء الوبيل، فلا أحد يستطيع أن يجبرك على الخضوع إن كان عندك إرادة، ورفض للعيش في ظل العبودية، ومن أجل أن تأكل، وتشرب فقط، فالأنسان هو الذي يصنع حريته وعبوديته. ويرى في مقالة نثرية له بعنوان (وسائل القضاء)، أن المصريين ينقصهم شيئان اثنان هما: معرفة معنى القدر، ونفض غبار الماضي عنهم، وشرط ثالث هو أن يقلقوا إلى تعرف سبيل الإصلاح، والتماس القوة، فالقلق هو الذي يدفع الانسان إلى السعي إلى الخلاص، والتحرر من القيود التي تكبله (Al-Shukrī 1981, 395).

وفي قصيدة له بعنوان: (إيكاروس العبد الروماني) وعلى لسان ايكاروس، يقول (Al-Shukrī 2000, 465):

وما ظلم المظلــوم إلا رضــاؤه ** وفــي كل ظلم للنفوس مدام
وبعض التقى والحزم جبن وذلــة ** وفي الشر نبل والحياة عــرام
ومــا الناس إلا مالك غير عــادل ** وآخــر يرضى بالأذى ويضــام

ويلخص الشاعر وضع الأمة السياسي في بيت شعري واحد مفعم بالحزن، والسخط معا، في قصيدة طويلة بعنوان: (الإهداء)، يقول (Al-Shukrī 2000, 117):

أرى قومــا تسوسهم الأعـادي ** كسوق الخيـل في يـوم الطراد

القضية التربوية التعليمية

يشترط عبد الرحمن شكري في مقالة نثرية له بعنوان: (أكاذيب الحياة) على المصلح لكي يحقق أهدافه، أن تكون له رغبة صادقة في العمل، وهذه الرغبة يترجمها سخاء المصلح بماله، وجهده، وقوته في سبيل منفعة وطنه، وأحسن ما يقدمه المصلح لوطنه، إحياء العلم، وإنماء التربية التي تنعش النفوس، فتسري مثل الرائحة الطيبة، أو كنفثات المسيح عندما كان يحيي الموتى (Al-Shukrī 2000, 405).

وهذا الشرط الذي اشترطه شكري، هو من أولويات الفكر الرومانسي الذي تبناه وطبقه عمليا، فعمل على نشر العلم، والوعي في المجتمع، وإصلاح النظام التربوي، وتحديث أساليب التعليم، وقضى حياته العملية من أجله، فكان من أعلام التربويين العاملين المخلصين الذين سخروا جهدهم للنهوض بالتعليم في مصر، والبلاد العربية عموما، ذلك التعليم الذي كان يعاني من حالة تأخر متقدمة، وهو من أوائل من اكتوى بناره إذ هو يعتمد على الحفظ، وحشو الذهن بالمعلومات الصماء التي يحفظها الطلاب، ويرددونها دون فهم وتذوق، ويصف عبد الرحمن شكري طريقة تعلمه في مراحله الدراسية الأولى فيقول: "كان الشيخ (مصطفى) يعلم تلاميذه الإعراب قبل أن يعلمهم قواعد النحو والصرف" (Al-Shukrī 2000, 4).

وفي مقالته في مجلة المقتطف، عدد (ثلاثة وتسعون) عام ألف وتسعمئة وثمانية وثلاثين بعنوان: (التعليم بين المؤثرات التاريخية والأخطاء البرجوازية)، شخّص عبد الرحمن شكري الخلل في العملية التعليمية، فوجده كامنا في طبيعة المنهج الذي يدرس في المدارس، والجامعات، وهو المسؤول عن زيادة عدد الخريجين العاطلين عن العمل في ذلك الوقت المبكر من تاريخ مصر. والسبب في ظن الناس أن التعليم والشهادة الجامعية تميمة تدفع عن حاملها شر البطالة، لأن أبواب الرزق كانت تفتح أمام حملة الشهادات الجامعية، فلما كثرت الشهادات، ضاقت أبواب الرزق، بل أغلقت في وجوه الأعداد الغفيرة، كما نشاهد الآن في أغلب الدول العربية المختلفة. وحاولت طائفة من المفكرين علاج هذه الظاهرة، فرأت أن السبب هو نقص الثقافة التي هي الدواء لكل داء، فانكب مخططو المناهج على زيادة المناهج أو إنقاصها، أو زيادة مرحلة الثقافة أو إنقاصها، وتركوا وجوه الإصلاح الأخرى المتمثلة –كما يقول عبد الرحمن شكري– في تمكين الطبائع العملية للمتعلم قبل مرحلة الثقافة، لأن الحواس هي أبواب النفس، وإذا لم تربّ هذه الطبائع العملية، كانت النفس مغلقة، أو شبه مغلقة، فهي التي ينتج عنها حضور الذهن واليقظة الفكرية وسرعة الخاطر ودقة الحكم على الحقائق وإقدام الواثق المؤهل، فالاكتفاء بالنظرية دون العملية، هو داء التربية والتعليم في كل زمان ومكان (Al-Shukrī 1981, 39-42).

يشهد العقاد أن عبد الرحمن شكري كان يتابع أساليب التربية الحديثة، وقد لمس ذلك عندما كان يدرس في إنجلترا، فالمناهج المدرسية الغربية تختلف عن المناهج المدرسية الشرقية، أو في المدارس المصرية تحديدا، والفرق شاسع بين المنهجين، فالمنهج المصري يعدّ الطلاب للوظيفة والعمل لا للتربية، وتعطى دروسه للحفظ لا للفهم والهضم والتمثل، وهي بعيدة عن دراسة المجتمع وفهم نفسيات الطلاب على ضوء الأبحاث النفسية والاجتماعية التي يجريها المتخصصون، كما هو الحال في المنهج الغربي، فأله هذا، وزاد من ألمه ما كان يراه من الزملاء عندما كان مديرا للمدارس من لؤم وكـيد وتزلـف رخـيص، فأدى به هذا إلى الاستـقالة وتـرك الأمـر للـوصوليين والمتسلـقين (Al-Shukrī 2000, 34).

الخاتمـة

كشف هذا البحث عن جوانب في شخصية الشاعر عبد الرحمن شكري مهمة كان من الانصاف معرفتها ونشرها عن هذا الشاعر المميز الذي رافقه سوء الحظ وقد جاء هذا الكشف موضوعيا منصفا فمن خلال قراءة نصية متأنية لمجموعته النثرية الكاملة، وديوان شعره، تم استخلاص المعلومة بالنص الموثق، وقد تبين أن الشاعر كان من رواد الشعراء المصلحين المتعلمين المثقفين المتنورين الذين جمعوا بين الأصالة، والمعاصرة في عصر الجهل المظلم الذي كان يلف الوطن العربي.

لقد لعب عبد الرحمن شكري دورا مهما في زمنه، فقد كان معلما مثقفا وشاعرا ملهما، عرفته ساحات المدارس الثانوية وغرفها الصفية، وأصغت له الأجيال من أبناء بلده، وكان نموذجا من النماذج النادرة من العاملين، المصلحين، ذوي الكفاءة المميزة والصفات الآخلاقية المحمودة التي تشنرط في معلمي الأجيال، فهو الكفؤ الصادق الأمين المخلص الزاهد القانع المسالم الذي لا يحب الصدام مع الأخرين حتى ولوعلى حساب حقوقه المستحقة، ولذلك رغم تأهيله العلمي العالي وتخرجه من جامعات الغرب، واستحقاقه التقدم والارتقاء في سلم الوظيفة أكثر من كثير ممن هم دونه علما وثقافة وخلقا ممن يتسنمون أعلى المناصب، هو أحق بها وأجدر، فقد توقف به المسير عند مرتبة مفتش في وزارة المعارف، وظل صابرا، واختار أخيرا التقاعد، والانضمام إلى عائلة أخيه مستأنسا بأبنائه، بعد أن حكم على نفسه بعدم الزواج، وظل على هذه الحال حتى وافاه الأجل المحتوم.

المصادر والمراجع

1. ‘Abbas, Iḥsan. 1979. *Fann al-Sh‘ir al-Ḥadīth.* Lubnān: Dār al-Thaqāfah
2. Al-Ahwanī, ‘Abd al-‘Aziz. 1979. *Ḥarakāt al-Tajdīd fi al-Adad al-‘Aarabī.* Al-Qāhirah: Dār al-Thaqāfah li al-Ṭibā‘ah wa al-Nashr
3. Al-‘Aqqad, ‘Abbas Mahmūd, Ibrahīm ‘Abd al-Qadir al-Māzinī. *Al-Dīwan fī al-Adab wa al-Naqd*. W. D. Al-Qāhirah: Dār Sha‘ab
4. Al-Shukrī, ‘Abd al-Raḥmān. 2000. *Al-Dīwan.* Misr: Al-Majlis al-A‘lā li al-Thaqāfah
5. Al-Shukrī, ‘Abd al-Raḥmān. 1981. *Al-Majm*ū‘a*h al-Kāmilah li A*‘māl ‘Abd al-Raḥmān al-Shukrī *al-Nathriyyah.* Nāblusr: Maktabah al-Najāḥ
6. Al-Tawhīdī, Abū Haiyyān. 2002. *Al-Imta‘ wa al-Muānasah.* Bairūt: Dār al-Maktabah al-Hayāt
7. Al-Ayyūbī, Yasīn. 1984. *Madhāhib al-Adab.* Bairūt: Dār al-ʻIlm li al-Malāīn,
8. Lu`lu`ah, ‘Abd al-Wāḥīd. 1982. *Mawsū‘ah al-Muṣtalaḥ al-Naqdī.* Al-‘Iraq: Dār al-Rashīd
9. Qabbish, Aḥmad. 1971. *Tārikh al-Shi‘r al-‘Aarabī al-Ḥadīth.* Bairūt: Dār al-Jīl.